أثر الاستبدال في الاتساق النصي

أ.د. عماد عبد يحيى
جامعة الموصل /كلية الاداب

م.د. عبد الله خليف خضير الحياني
جامعة الموصل / كلية الآداب

الملخص

تسعى هذه الدراسة الى كشف دور الاتساق في النص عبر احدى وسائله وآلياته ألا وهي الاستبدال بوصفه ملمحا مهما من ملامح التلاحم النصي ، ذلك أن الاستبدال يشير الى مرجعية المستبدل بالمستبدل منه ، وهي علاقة ترابطية تجعل المتلقي يبحث عن العلاقة بينهما وآليات الاستبدال التي من شأنها أن تعمل على تماسك النص وانسجامه ، فجاءت هذه الصفحات للكشف عن الاستبدال واثره في النص بوصفه آلية من اليات الاتساق النصي ، إذ يشير مصطلح الاتساق النصي الى الترابط المتين بين الاقسام اللغوية المكونة للخطاب ، فالاتساق النصي يقوم على عدد من الوسائل اللفظية التي تربط بين العناصر اللغوية المكونة للخطاب المتلاحم. اما الاستبدال ففي أساسه ارتباط بين مكونين من مكونات النص أو عالم النص يسمح لثانيهما أن ينشط هيكل المعلومات المشتركة بينه وبين الأول ، كما يُنظر إلى الاستبدال على أنّه لفظ يشير إلى نظام التغيير الصوتي الذي يحصل داخل بنية التركيب النحوي . وتستعمل هذه الطريقة لاختبار الجمل التي تكون استعمالاتها نظامية في المعيار الاستبدالي. ويشير مصطلح الاستبدال إلى نوع من الربط بين العناصر والمكونات اللغوية.

The effect of substitution on textual consistency

abstract

This study seeks to reveal the role of consistency in the text through one of its methods and mechanisms, namely the substitution as an important feature of the textual cohesion, since that substitution refers to the reference of the substitute in the substitute from it, and it is a correlation that makes the recipient search for the relationship between them and the substitution mechanisms that would work On the coherence and consistency of the text, these pages came to reveal the substitution and its effect in the text as a mechanism of textual consistency, as the term textual consistency refers to the strong correlation between the linguistic sections that make up the speech, so the textual consistency is based on a number of verbal means that link the

elements Linguistic components of the speech Coherent. As for the substitution, it is basically a link between two components of the text or the text world that allows the second to activate the structure of the information shared between it and the first, and the substitution is also seen as a term that refers to the system of voice change that occurs within the structure of the syntactic structure.

الاتساق من اللغة الى الاصطلاح

الاتساق لغة :

ولا بد من عرض الجذر اللغوي للاتساق واستعمال المشتقات منه ؛ لتحديد العلاقة اللغوية بينه وبين معناه الاصطلاحي ومدى اتفاقهما في المفهوم.

للجذر **(و.س.ق)** في اللغة عدة معانٍ ، إذ يدلّ على حَمْل الشيء[(١)] ، يقول ابن منظور : «الوَسْقُ والوِسْقُ مِكْيَلَة معلومة وقيل : هو حمل بعير ... ، والاتساق : الانتظام ، ووَسّقْتُ الحنطة توسيقاً ، أي جعلتها وَسْقاً وَسْقاً»[(٢)] ، وفي القاموس المحيط : «وسقه يسقه جمعه وحمله»[(٣)] وفي المعجم الوسيط : «اتسق الشيء إذا اجتمع وانضم وانتظم»[(٤)] ، وفي المفردات في غريب القرآن : «وسقت الشيء جمعته . والوسيقة الابل المجموعة كالرفقة من الناس ، والاتساق الاجتماع والاطراد»[(٥)] ؛ لذا عدّ الزمخشري الاتساق بمعنى الانتظام من المعاني المجازية إذ يقول : «ومن المجاز: اتّسق القمر. واتسق أمره واستوسق. وطرد الحمار وسيقته وهي عانته. وهو لا يواسق فلاناً: لا يعادله، وأصل المواسقة : المحاملة»[(٦)]، والوُسُوق ما دخل فيه الليل وما ضم وقد وَسَقَ الليلُ واتَّسَقَ وكلّ ما انضم فقد اتَّسَقَ والطريق يأتَسِقُ ويَتَّسق أَي ينضم ، واتَّسَق القمر استوى قال تعالى : **ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗﭼ** [سورة الانشقاق] ، **ﭽ ﮰ ﮱﭼ** أَي وما جمع من الجبال والبحار والأشجار كأَنّه جمعها بأَن طلع عليها كلِّها فإذا جَلَّلَ الليلُ الجبال والأَشجار والبحار والأَرض فاجتمعت له فقد وَسَقَها ، ووَسَقْت الشيءَ جمعته وحملته والوَسْق ضم الشيء إلى الشيء[(٧)] ، ويرى الفراء : أنّ **ﭽ ﮰ ﮱﭼ** أَي وما جمع وضم . واتِّساقُ القمر امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة إلى ست عشرة فيهن امتلاؤه واتِّسَاقه[(٨)] . وقال السيوطي : «اتسق القمر إذا تم وامتلأ ليلة اربع عشرة ، ووزن اتسق **(افتعل)** ، وهو مشتق من الوسق ، ويقال : اتسق استوى»[(٩)].

وربّما كان الوسق في أول الأمر يطلق على المكيلة ثم أطلق مجازاً على المعاني الأخرى لذا عُدّ اتساق القمر مجازاً . غير أنّ ما يهمنا من هذه المعاني : **(الانضمام ، والانتظام ، والاجتماع ، والاطراد)** ؛ إذ إنّ دلالتها تقترب من معنى الاتساق في الاصطلاح.

الاتساق اصطلاحاً :

---

(١) معجم مقاييس اللغة : ٦٣١/٢.
(٢) لسان العرب: ١٠٢/٥ ـ ١٠٤.
(٣) القاموس المحيط : ٢/ ١١٠
(٤) المعجم الوسيط :٩٩/٢.
(٥) المفردات في غريب القرآن /٥٣٨.
(٦) أساس البلاغة /٨٢١.
(٧) ينظر : لسان العرب : ١٠٣/٥.
(٨) ينظر : معاني القرآن : ١٣٩/٣.
(٩) معترك الأقران في اعجاز القرآن :٥٧٠/١.

كما هو حال الاتساق في المعنى المعجمي فإنّ له في الاصطلاح تعاريف ومفاهيم كثيرة ، فيرى الباحث لقمان مصطفى سعيد أنّ دلالة الاتساق هي الترابط والتجانس بين الوعاء اللفظي والمضمون المعنوي ، بل تعرف الكلام بموضوعه ، وتجيء به حيث ينبغي له ، وتنظر في الحروف المكونة للمعنى ، ثم ينفرد كلّ منها بخاصية في ذلك ، فتضع كلا من ذلك في خاص معناه ، فالاتساق بذلك يشير إلى التلاؤم بين اللفظ والمعنى ، وأساسه الوحدة مع التعدد ، تبعا لاجتماع عناصر مختلفة بحيث تكوّن وحدة مترابطة الأجزاء ، متناسقة العناصر[١٠].

ويرى آخرون أنّ الاتساق هو ذلك الترابط الحاصل بين المفردات والجمل المشكلة للنص، وهذا الترابط يتأتى من خلال وسائل لغوية تصل بين العناصر المشكلة للنص ، وهذه الوسائل اللغوية حققت الاتساق بنوعيه التركيبي والدلالي ، فالاتساق التركيبي يتحقق بوسائل لغوية مثل الفصل والوصل ، ويتحقق الاتساق الدلالي بالإحالة[١١].

ويرى د.عبد الجليل غزالة أنّ كلّ ابداع أدبي يجسد لحمة خطابية موحدة ، في حين أنّ غيابها يقصي الاتساق ويدخل النص في دائرة العدم ، أي وجود جمل مفككة ومبتورة ، فيشترط الاتساق النصي على كلّ مقطع لغوي ايجاد كلّ موحد ، تتوافر فيه خصائص معينة تعدّ سمة في النصوص ولا توجد في غيرها[١٢].

أمّا اسامة عبدالعزيز جاب الله فيرى أنّ الاتساق هو ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص ما ، ويكون مناط العناية فيه منصباً على الوسائل اللغوية التي تربط بين هذه العناصر المكونة للنص مثل : الاحالة ، والعطف ، والضمائر ، والاستبدال ، والحذف ، والمقارنة ، وغيرها من الوسائل ، ويرى أنّ الاتساق إحكام علاقات الأجزاء ، ووسيلة ذلك احسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة ، وقرينة الربط النحوي من جهة أخرى ، واستصحاب الرتب النحوية حين تدعو دواعي الاختيار الأسلوبي ، ورعاية الاختصاص والافتقار في تركيب الجمل[١٣].

أمّا ياسين سرايعة فقد استعمل مصطلح السبك بدلاً من الاتساق ؛ وذلك لشيوعه في كتابات الأقدمين ، وعرّفه بـ«العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية ، وبين النص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى ، ومن بين هذه الأدوات المرجعية»[١٤] ، فالسبك بذلك يُعنى بالعلاقات بين أجزاء الجملة والجمل والنص ، ومن ثم يحيط السبك بالنص كاملاً داخلياً وخارجياً والسبك على نوعين:

١ـ **المعجمي :** ويتحقق بين المفردات أو الألفاظ عبر ظاهرتين لغويتين هما : (**التكرار**) و(**التضام**).

٢ـ **النحوي :** يقتصر مجال نحو النص على الوسائل اللغوية المتحققة نصياً والعلاقات بينها ؛ لأنّ توالي الجمل يشير إلى مجموعة من الحقائق وعلى نحو النص أن يكشف عن العلاقات المعنوية بين مجموع هذه الحقائق ذلك أنّ الربط بين الجمل عن طريق الأدوات يكون أكثر وضوحاً ؛ لأنّها المصدر الوحيد لخاصية النص . ومن أشكال الترابط النحوي :

أ ـ **الترابط الرصفي :** وهو اقرب إلى ظاهر النص ويرتبط بالدلالة النحوية التي تعنى بكيفية انتفاع المتلقي بالأنماط والتتابعات الشكلية في استعمال المعرفة والمعنى ونقلهما وتذكرهما.

---

(١٠) ينظر : ((الاتساق الدلالي في قصص القرآن الكريم)) /٥.

(١١) ينظر : الفرق ين الاتساق والانسجام
www.difi.montadarabi.com

(١٢) ينظر : الاتساق النصي ، دراسة تطبيقية ، عبدالجليل غزالة :
www.arabe.physigue48.org

(١٣) ينظر : نظرات في مصطلحات اللسانيات ، د.اسامة عبدالعزيز جاب الله
www.alfaseeh.com

(١٤) ينظر : ((مقاربة نحو النص في تحليل النصوص قراءة في وسائل السبك النصي)) /١٠.
www.ulum.nl.com

ب ـ التعريف : وهو وضع للعناصر الداخلية في عالم النص حين تكون وظيفة كلّ من هذه العناصر لا تحتمل الجدل في سياق الموقف ، بمعنى أن تحدد الوضع باسم علم أو بصفة معرفة، فالتعريف يمكن أن يشمل عنصراً من عناصر عالم النص في نطاق دلالي مربوط بمركز الضبط.

جـ ـ الاستبدال

د ـ الحذف[١٥].

ويرى د.جميل عبدالمجيد أنّ الصفة الأساسية القارة في النص هي صفة الاطراد أو الاستمرارية ، وتعني التواصل والتتابع والترابط بين الأجزاء المكونة للنص ، وبمعنى آخر انه في كلّ مرحلة من مراحل الخطاب نقاط اتصال بالسابقة عليها ، وهذا الاستمرار يتجسد في سطح النص ، إذ تتمثل في النص على مستواه السطحي ، ونعني بسطح النص الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني والتي نخطها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق. وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعاً للمباني النحوية، ولكنّها لا تشكل نصاً إلاّ إذا تحقق لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظاً بكينونته واستمراريته[١٦]. ويرى د.جميل أنّ السبك نوعان:

١ـ سبك معجمي

٢ـ سبك نحوي[١٧]

والاتساق صفة يتسم بها كلّ خطاب متجانس منظم الوحدات ، سواء أكانت هذه الوحدات مفردات أم جملاً ، وهو ما يعني أن تكون هذه الوحدات منظمة ومتجانسة اعتماداً على مجموعة من العلاقات أو الروابط الشكلية[١٨].

يرى د.محمد خطابي أنّ الاتساق ليس اسماً آخر لبنية الخطاب ؛ وذلك لأنّ هذا المفهوم الأخير يستعمل للإشارة إلى وحدة مقترحة أعلى من الجملة كالفقرة مثلاً ، في حين يمثل مفهوم الاتساق العلاقات في الخطاب ، فالوحدات تتعالق لتشكل نصاً ، كلّ الوحدات النحوية : الجمل والأقوال والمركبات والكلمات متسقة داخلياً ؛ لأنّها مبنية بيسر ، إلا أنّ الاتساق يتوقف داخل نص ما على شيء آخر غير البنية ، بمعنى أنّ هناك علاقات معينة إذا توافرت في نص ما ، تجعل اجزاءه متآخذة مشكلة بذلك كلاً موحداً ، تعدّ طبيعة هذه العلاقات دلالية ، وهي خصائص تميز النص بوصفه وحدة دلالية[١٩].

من خلال كلّ ما تقدم يشير الاتساق إلى مجموعة من الإمكانيات التي تربط بين شيئين أو أكثر ، وبما ان هذا الربط يتم من خلال علاقات معنوية ؛ لذا فإنّ ما يعنينا هو العلاقات المعنوية التي تشتغل بهذه الطريقة ، أي الوسائل الدلالية الموضوعة بهدف إبداع النص[٢٠]. فالاتساق يشمل العلاقات التي تصف التنظيم الداخلي للنص من خلال عدد من العلاقات التي تسوده ؛ وعلى هذا فالاتساق لن يكون موجوداً في النص إلاّ إذا توافر على الآليات التي تجمع النص عموماً ، ومن هذه الآليات مجموعة الروابط المنطقية ، والروابط الطبيعية التي تنبع من طبيعة التركيب النحوي واللغوي للنص، وهي تدخل في صميم الاتساق ذلك أنّه يكون في خطية النص وتركيبه ، والذي ينشئه هو الكلمات المتراصفة بعضها إلى جانب بعض ، ويأخذ بعضها برقاب بعضها الآخر[٢١].

---

(١٥) ينظر : م.ن /١١.
www.ulum.nl.com

(١٦) ينظر : بلاغة النص ، مدخل نظري ودراسة تطبيقية / ١٥ ـ ١٦.
www.al-mostafa.com

(١٧) ينظر : م.ن/١٦ ـ ١٧.

(١٨) ينظر : ((الاتساق والانسجام))
www.lissaniat.net/viewtopic.php.

(١٩) ينظر : لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب /١٦.

(٢٠) ينظر : م.ن /١٦.

(٢١) ينظر : ((القرائن العلاقية وأثرها في الاتساق ، (سورة الأنعام أنموذجاً) ، دراسة وصفية احصائية تحليلية)) /١٥.

http://www.4shared.com/get

يميل الاتساق إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص ، التي تحدده بوصفه نصاً ، ويمكن أن نطلق على هذه العلاقة **(تبعية)** ، وبخاصة حين يستحيل تأويل عنصر دون الاعتماد على العنصر الذي يحيل إليه ، ويبرز الاتساق في تلك المواضع التي يتعلق فيها تأويل عنصر من العناصر بتأويل العنصر الآخر ، إذ يفترض كلّ منهما الآخر مسبقاً فلا يمكن أن يحل الثاني إلاّ بالرجوع إلى الأول ، وعندما يحدث هذا تتأسس علاقة الاتساق[٢٢] . ولا يتم الاتساق على المستوى الدلالي فحسب إنّما يتم في مستويات أخرى كالنحو والمعجم[٢٣].

أدوات الاتساق :

١ـ الاحالة
٢ـ الحذف
٣ـ الاستبدال
٤ـ الفصل والوصل

الاستبدال لغة :

يشير الاستبدال في اللغة إلى معانٍ عدة منها : البَدِيل البَدَل ، وبَدَلُ الشيء غَيْرُه ، وبِدْل الشيء وبَدَله وبَدِيله : الخَلَف منه ، والجمع أبدال ، وتَبَدَّل الشيءَ وتَبدل به واستبدله واستبدل به كُلُّه : اتخذ منه بَدَلاً ، وأَبْدَل الشيءَ من الشيء وبَدّله : تَخِذَه منه بدلاً ، وأَبدلت الشيء بغيره وبدّله الله من الخوف أَمْناً ، وتبديل الشيء تغييره وإن لم تأْتِ ببدل ، واستبدل الشيء بغيره وتبدَّله به إذا أَخذه مكانه ، والمبادلة التبادُل ، والأَصل في التبديل تغيير الشيء عن حاله ، والأَصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر كإبدالك من الـ**(واو)** **(تاء)** في **(تالله)** ، ويقال : أَبْدلت الخاتم بالحَلْقة إذا نَحَّيت هذا وجعلت هذا مكانه ، وبدَّلت الخاتم بالحَلْقة إذا أَذَبْتَه وسوَّيته حَلْقة ، وبدلت الحَلْقة بالخاتم إذا أَذبتها وجعلتها خاتماً ، وقد جعلت العرب بدَّلت بمعنى أَبدلت وهو قول الله عز وجل **چچ چ چ چ چ چچ** [سورة الفرقان] ألا ترى أنه قد أَزال السيئات وجعل مكانها حسنات ؟ وسمي البدّال بدّالاً ؛ لأَنه يبدّل بيعاً ببيع ، فيبيع اليوم شيئاً وغداً شيئاً آخر[٢٤] . و«أبدله بخوفه أمناً وبدله مثله. وبدل الشيء: غيّره. وتبدلت الدار بإنسها وحشاً. واستبدلته وبادلته بالسلعة إذا أعطيته شروى ما أخذته منه. وتبادلا ثوبيهما. وهذا بدل منه وبديل منه، وهم أبدال منهم وبدلاء. وهذا بديل ما له عديل، و**(رب بدل شر من بدل)** ، وهو وجع العظام. أنشد أبو عمرو لابن نعيم:

وتمدرت نفسي لذاك ولم أزل بدلاً نهاري كله حتى الأصل

وهو من الأبدال أي الزهاد»[٢٥].

وفي مقاييس اللغة «الباء والدال واللام أصل واحد وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب»[٢٦] ، وفي القاموس المحيط : «بدل الشيء : الخلف منه»[٢٧].

وفرق الراغب بين التبديل والعوض ، فقال : «الإبدال والتبديل والتبدل والاستبدال : جعل شيء مكان آخر ، وهو أعمّ من العِوَض فإنّ العِوَض هو أن يصير لك الثاني بإعطاء الأول ، والتبديل قد يقال للتغيير مطلقاً وإن لم يأت ببدله ، قال تعالى : چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ چچ [سورة البقرة] چچ ڍ ڍ ڌ ڌ گچ [سورة النور:٥٥] ، وقال تعالى : چچ چ چ چ چچ ڍ ڍ چ [سورة الفرقان] ، قيل : هو أن يعملوا أعمالا صالحة تبطل ما قدموه من الإساءة ، وقيل : هو أن يعفو تعالى عن سيئاتهم ويحتسب حسناتهم ، وقال تعالى : چ ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ چ [سورة البقرة] چ ۋ ۋ ۅ ۅ ئو چ [سورة النحل]

---

(٢٢) ينظر : لسانيات النص /١٦.
(٢٣) ينظر : م.ن /١٥.
(٢٤) ينظر : لسان العرب : ١٦٢/٦ ـ ١٦٣.
(٢٥) أساس البلاغة / ٣٦.
(٢٦) مقاييس اللغة : ٢١٠/١.
(٢٧) ينظر : القاموس المحيط : ١٢٤/١

چڤ ڤ ڦ ڄ چ [سورة سبأ] چ ئە ى ى ي يـ يخ چ [سورة الأعراف] چٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ چ [سورة إبراهيم] أي : تغير عن حالها چ پ پ پـ چ [سورة غافر] چڈ ڈ ڈ ژ چ [سورة البقرة] چ ئى ئى ئې ئې ئى ئى يچ [سورة محمد] ، وقوله : چ ئو ئو ئۇ ئۇ ئى چ [سورة ق] أي : لا يغير ما سبق في اللوح المحفوظ تنبيها على أن ما علمه أن سيكون يكون على ما قد علمه لا يتغير عن حاله . وقيل : لا يقع في قوله خلف»[٢٨]

وما يعنينا من هذه المعاني ما يقترب منها من معنى الاستبدال الاصطلاحي وهو (**جعل شيء مكان آخر**) و(**بَدَلُ الشيءِ : الخَلَفُ منه**) و(**وبَدَلُ الشيء غَيْرُه**).

الاستبدال اصطلاحا :

الاستبدال عملية تتم داخل النص ، وهي عبارة عن عملية تعويض عنصر في النص بعنصر آخر[٢٩] ، ويرى دي بوجراند أنّ الابدال : «في أساسه أي ارتباط بين مكونين من مكونات النص أو عالم النص يسمح لثانيهما أن ينشط هيكل المعلومات المشتركة بينه وبين الأول»[٣٠] ، كما يُنظر إلى الاستبدال الاستبدال على أنّه «لفظ يستعمله علماء الصوتيات للإشارة إلى نظام التغيير الصوتي الذي يحصل داخل بنية التركيب النحوي . وتستعمل هذه الطريقة لاختبار الجمل التي تكون استعمالاتها نظامية في المعيار الاستبدالي ، لتثبيت عدد الأصوات . ويشير مصطلح الاستبدال في بعض الأحيان إلى نوع من الربط بين العناصر والمكونات اللغوية»[٣١] . ويرى هارفج أن انشاء الرابطة بين الجمل يتم بالاستبدال عن طريق الاشكال البديلة بوصفها وسيلة هامة ، وشرط الاستبدال في النص ان يتم استبدال وحدة لغوية بشكل اخر يشترك معها في الدلالة ، إذ ينبغي أن يدل كلا الشكلين اللغويين على الشيء غير اللغوي نفسه[٣٢] ، ومن ذلك ما رواه الامام مسلم في صحيحه : «أسرت امرأة من الأنصار ، وأصيبت العضباء ، فكانت المرأة في الوثاق ، وكان القوم يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم ، فانفلتت ذات ليلة من الوثاق ، فأتت الإبل ، فجعلت إذا دنت من البعير رغا فتتركه حتى تنتهي إلى العضباء فلم ترغ ـ قال : وناقة منوقة ـ ، فقعدت في عجزها ثم زجرتها ، فانطلقت ، ونذروا بها ، فطلبوها ، فأعجزتهم ، ـ قال : ونذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها ـ فلما قدمت المدينة رآها الناس ، فقالوا : العضباء ناقة رسول الله (ﷺ) ، فقالت : إنها نذرت إن نجاها الله عليها لتنحرنها ، فأتوا رسول الله (ﷺ) ، فذكروا ذلك له ، فقال : (**سبحان الله بئسما جزتها نذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها لا وفاء لنذر في معصية ولا فيما لا يملك العبد**)»[٣٣] ، فالعضباء اسم اطلق على ناقة رسول الله (ﷺ) وكان العرب يطلقون اسماءً على خيولهم ونوقهم وسيوفهم ورماحهم ، فالشكل اللغوي (**عضباء**) و(**ناقة رسول الله**) يدلان على شيء غير لغوي في الحقيقة وهي الناقة . . ويرى سليمان بوراس في الاستبدال أن «يستبدل المتحدث لفظاً بلفظ آخر له المدلول نفسه ، وهو في بناء أي نص على المستوى اللساني»[٣٤] . وترى د.عزة شبل محمد أنّه «احلال كلمة محل كلمة أخرى ، وهذه الكلمة لا تكون ضميرا شخصيا»[٣٥]

أنواع الاستبدال :

١ـ استبدال اسمي : ويتم باستخدام عناصر لغوية اسمية مثل : (**آخر ، أخرى ، اخرون ، نفس ...**)

---

(٢٨) المفردات في غريب القرآن /٥٠.
(٢٩) ينظر : لسانيات النص /١٩
(٣٠) النص والخطاب والاجراء ، روبرت دي بوجراند /٣٠٠.
(٣١) ((وجوه الاستبدال في القرآن الكريم ، دراسة لغوية وصفية تحليلية)) /٣٦.
(٣٢) ينظر : الاستبدال ودوره في تماسك النص ، أ.ابراهيم محمد عبدالله مفتاح
http://www.ta5atub.com/montada
(٣٣) صحيح مسلم /٦٤٢.
(٣٤) ((القرائن العلاقية وأثرها في الاتساق ، (سورة الأنعام أنموذجاً) ، دراسة وصفية احصائية تحليلية)) /٢٥.
http://theses.univ-batna.dz/index.php?option=com
(٣٥) علم لغة النص ، النظرية والتطبيق / ١١٣.

٢ـ استبدال فعلي : ويمثله استعمال العنصر (**يفعل**) .
٣ـ استبدال قولي : ويستعمل فيه (**ذلك...**)[٣٦]

من المهم الإشارة إلى مساهمة الاستبدال بشكل أساس في تحقيق الترابط الدلالي ، فهو يتطلب وجود علاقة معنوية بين عنصرين احدهما متقدم والآخر متأخر ، ولا يعني الاستبدال البدل في النحو العربي[٣٧].

ويشترك الاستبدال مع بقية عناصر الاتساق : (**الإحالة ، الحذف ، العطف**) في أن جميعها عناصر نصية ، إلا ان الاستبدال علاقة تتم في المستوى النحوي ـ المعجمي بين كلمات أو عبارات ، في حين تقع الإحالة في المستوى الدلالي بوصفها علاقة معنوية[٣٨] ، فالاستبدال علاقة بين العناصر اللغوية (**الكلمات والعبارات**) ، في حين تمثل الإحالة علاقة بين المعاني ، فهي علاقة على المستوى الدلالي ، والاستبدال علاقة على المستوى المعجمي النحوي ، فالقاعدة العامة في الاستبدال ان يكون للكلمة البديلة الوظيفة التركيبية نفسها[٣٩] ، كما يختلف الاستبدال عن الحذف في أنّ الاستبدال يترك أثراً يدل على العنصر المستبدَل ، وهذا الأثر هو عنصر لغوي آخر حلّ محل العنصر المستبدَل[٤٠] ، الذي «يبقى مؤشراً يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض ، مما يمكنه من ملء الفراغ الذي يخلفه الاستبدال»[٤١] ، فالمعلومات التي تمكن القارئ من تأويل العنصر الاستبدالي توجد في مكان آخر في النص[٤٢] ، والعلاقة بين الاستبدال والحذف علاقة تضمين ، إذ إن الاستبدال يتضمن الحذف ، بمعنى أن الحذف يمكن تفسيره بوصفه شكلا من اشكال الاستبدال ، فهو استبدال بدرجة الصفر[٤٣] ، أي انه لا يحلّ محل العنصر المحذوف عنصر آخر ، إنّما يُستدل على المحذوف من طريقين هما:

ـ من جهة الاعراب.
ـ من جهة المعنى[٤٤].

اثر الاستبدال في الاتساق النصي

يسهم الاستبدال في اتساق النص وتماسكه وهذا الاتساق نابع من العلاقة بين العنصرين (المستبدَل) و(المستبدِل) ، وهي علاقة قبلية بين عنصر سابق في النص وعنصر لاحق فيه ؛ ومن هنا يمكن النظر إلى وجود العنصر المستبدَل في العنصر المستبدِل واستمراره فيه ، فضلا عن ذلك تنشأ بين العنصرين علاقة تقابل ، فمحاولة فهم العنصر المستبدِل ستبدو مستحيلة إذا لم يتم الرجوع إلى العنصر الأول ، فالعلاقة قبلية ، وعلى المتلقي إذا أراد أن يؤول العنصر الاستبدالي الرجوع إلى مكان آخر في النص هو العنصر المستبدَل[٤٥].

ومن وجوه الاختلاف ما بين الإحالة والاستبدال أنّ العلاقة في الإحالة بين عنصري الإحالة (**محال**) و(**محال إليه**) علاقة تطابق ، أمّا العلاقة في الاستبدال بين عنصري الاستبدال (**المستبدَل**) و(**المستبدِل**) علاقة تقابل تقتضي التحديد والاستبعاد ، ويمكن فهمهما من خلال قول يزيد بن الطثرية:

---

(٣٦) ينظر : لسانيات النص / ١٩ ، وعلم لغة النص ، النظرية والتطبيق /١١٣.
(٣٧) ينظر : الاستبدال ودوره في تماسك النص
http://www.ta5atub.com/montada
(٣٨) ينظر : لسانيات النص /١٩.
(٣٩) ينظر : علم لغة النص ، النظرية والتطبيق / ١١٣.
(٤٠) ينظر : لسانيات النص /٢٢
(٤١) الاستبدال ودوره في تماسك النص
http://www.ta5atub.com/montada
(٤٢) ينظر : الاستبدال ودوره في تماسك النص
http://www.ta5atub.com/montada
(٤٣) ينظر : علم لغة النص ، النظرية والتطبيق/ ١١٣.
(٤٤) ينظر : لسانيات النص / ١١١
(٤٥) ينظر : لسانيات النص /١١٢

ألا ربّ راجٍ حاجـــــــــةَ لا ينالُهَـــــــــا

وآخـــر قَـــدْ تُقْضَـــى لَـــهُ وَهـــوَ جَـــالِسٌ

فالتقابل في هذا البيت الشعري وقع بين الوصفين (**لا ينالها**) و(**قد تقضى له وهو جالس**) ، فالوصفان مختلفان وعن هذا الاختلاف نتج التقابل مما أدى إلى إعادة التحديد (**أي تحديد صفة راج**) ، والذي ترتب عنه الاستبعاد (أي استبعاد وصف وإحلال وصف آخر محله حتى على مستوى الرؤية) ؛ وبناءً عليه فان المستبدِل يحتفظ بجزء من المعلومات السابقة ، أي : (**راج**) مستبعدا جزءاً آخر وهو الوصف (**لا ينالها**) ، وعليه يتضح أن العلاقة الاستبدالية لا تقوم دون أن يلغي ذلك وظيفة الاتساق الذي يقوم به العنصر (**آخر**) الذي يستمد قيمته من تلك العلاقة ، فإذا أردنا فهم (**آخر**) علينا العودة إلى العنصر السابق وهو (**راج**) الذي سنجد فيه تفسيرا للفظة (**آخر**) ، فنجد أن هناك علاقة تقابل نشأت بين (**راج حاجة لا ينالها**) و(**وآخر قد تقضى له وهو جالس**) مع احتفاظهما بعلاقة اتساقية متينة ، فضلا عن الاستبدال فإننا نجد هنا أن الحذف قد تضافر مع الاستبدال واسهما معاً إسهاماً مباشراً في عملية الاتساق فتقدير الكلام : رب رجل راج حاجة لا ينالها ورب رجل آخر قد تقضى له وهو جالس) فحذفت لفظة رجل من الجملة الأولى وأقيمت مقامها الصفة (**راج**) التي أخذت اعراب الاسم المحذوف ، وحذفت لفظتا (**رب**) و(**رجل**) من الثانية وأقيمت مقام (**رجل**) الصفة (**آخر**) التي أخذت اعرابها ، فكانت (**راج**) و(**آخر**) في موضع ابتداء ، و(**لا ينالها**) و(**قد تقضى له**) في موضع الخبر ، و(**وهو جالس**) في موضع نصب حال ، وهذا بدوره ولد صورتين الأولى لرجل سعى في طلب حاجة ولم ينلْها ، وآخر استطاع الحصول على حاجة وقضيت له وهو لم يطلبها بل قعد عنها ، فضلا عن دور الإحالة التي أسهمت إسهاماً فعالاً في اتساق النص عبر عود الضمير الذي توزع ما بين الـ(**رجل**) و(**آخر**) و(**حاجة**) ، ومن هنا كان لعنصري الاستبدال أهمية كبيرة في الاتساق إذ إن احدهما يشير إلى الآخر ، والرسم الاتي يوضح الاتساق في هذا البيت الشعري :

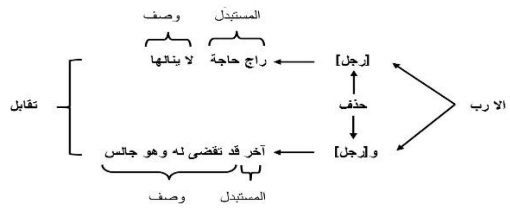

ويمكن النظر إلى العلاقة الاستبدالية على أنّها علاقة تحمل علاقتي تطابق واختلاف في آن واحد فالتطابق وقع بين المستبدِل والمستبدَل إلا ان علاقة الاختلاف ما بين وصفيهما هي التي دفعت هذا التطابق وحولته إلى اختلاف جوهري بينهما مما نشأ عن ذلك علاقة تقابل فلولا الوصفان لكانت جملة مثل : (**رأيت رجلا وآخر**) تماثل جملة : (**رأيت رجلين**) فلا فارق بين (**رجلاً**) و(**آخر**) في الجملة إذ وقعا بمرتبة واحدة تحت فعل الرؤية مع تطابقهما بعدم التحديد ، ومثال ذلك قول ابن نباته:

كـم قاصـد جـاء فـي جهـر وآخـر فـي

ســـر ولكـــل انعـــام وتشـــرق

أمّا عند التحديد : (**رأيت رجلا كريماً وآخر بخيلاً**) فإنّ الوصفين قد أثرا في الجملة تأثيراً مباشراً ممّا ولّد علاقة مقابلة فالرجل الكريم غير الرجل البخيل وان وقعا تحت فعل الرؤية ، ومن ذلك قوله تعـالى : **ﭽ چ چ ڇ ڍ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک کگ گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ں ں ﭼ** [سورة آل عمران].
يتجلى الاتساق في عملية الاستبدال التي وقعت في هذه الآية إذ استبدلت كلمة (**أخرى**) بكلمة (**ڎ**)

في قوله تعالى : (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ) ونجد أنّ العلاقة بين المستبدَل (ﮄ) والمستبدِل (**أخرى**) تقتضي إعادة التحديد والاستبعاد ، وقد قامت على مبدأ الاختلاف الذي ولّد بدوره تضاداً وقع بين صورتين :

ـ صورة لفئة مؤمنة

ـ صورة لفئة كافرة

فالتقابل بدا واضحاً في هذه الآية بين الصورتين ، فالصورتان مختلفتان ، وعن هذا الاختلاف نتج التقابل مما أدى إلى إعادة تحديد (ﮄ) الذي ترتب عليه استبعاد وصف (ﮄ) وإحلال وصف ثان محله ، وتمت عملية الاستبدال في هذا النص بالاستعانة بالحذف إذ انه أسهم في تماسك النص وترابطه ، فولّد الاستبدال صورتين متضادتين حملتا في طياتهما الحذف الذي يهتدي به المتلقي إلى وضع صورة واضحة عن كل فئة منهما ، فضلا عن الإيجاز الذي حمله النص فاستغنى عمّا يمكن الاستغناء عنه ليفسح المجال للمتلقي ليكوّن صورة عن تلكما الفئتين ، فالفئة الأولى تُعلم من سياق الكلام أنّها فئة مؤمنة ؛ لأنها تقاتل في سبيل الله ، ولعلّ هذا ما دفع أبا حيان إلى قوله : «وفي قوله (ﮂ) محذوف تقديره : (**في قصة فئتين**) ، ومعنى (ﮂ) أي للحرب والقتال ، (ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ) ، أي : (**فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله ، وفئة أخرى كافرة تقاتل في سبيل الشيطان**) ، فحذف من الأولى ما أثبت مقابله في الثانية ، ومن الثانية ما اثبت نظيره في الأولى ، فذكر في الأولى لازم الايمان ، وهو القتال في سبيل الله ، وذكر في الثانية ملزوم القتال في سبيل الشيطان وهو الكفر»(٤٦) ، إذن نحن أمام صورتين اتسقتا عبر الاستبدال والحذف اللذين توّلدت عنهما بنية التقابل ، وعلى النحو الموضح في الشكل الآتي:

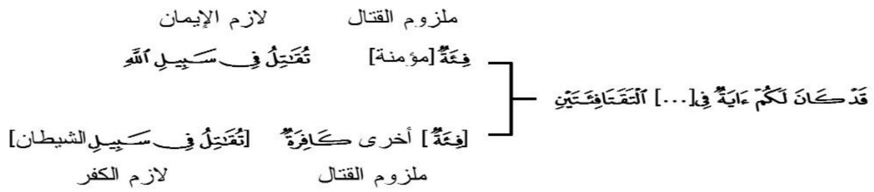

فالاختلاف في هذا النص وقع بين الوصفين (**مؤمنة**) و(**كافرة**) وعن هذا الاختلاف نتج التقابل مما أدى إلى إعادة التحديد ؛ وبناءً عليه فإن المستبدِل احتفظ بجزء من المعلومات السابقة (ﮄ) مستبعدا وصفا آخر لها (**مؤمنة**) ، فالعلاقة في الاستبدال بين عنصري الاستبدال المستبدَل (ﮄ) والمستبدِل (**أخرى**) لم تقم على التطابق ، وإنّما قامت على التقابل والاختلاف الذي نتج عنهما الاستبعاد دون أن يلغي ذلك وظيفة الاتساق التي حققها العنصر (**أخرى**) بل على النقيض من ذلك ، فالعنصر (**أخرى**) استمد قيمته الاتساقية من تلك العلاقة ، فلا يمكننا فهم (**أخرى**) أو تأويلها إلاّ بالرجوع إلى العنصر المستبدَل السابق (**مؤمنة**) ، وإن كان محذوفاً وجب علينا البحث عنه وتقديره ؛ من هنا تتضح أهمية الاستبدال في فهم الاتساق في النص وتحقيقه.

ومن الملاحظ على علاقة الاستبدال في هذه الآية أنها اعتمدت على (**الاحتباك**) وهو : «الحذف من كلامين متقابلين كل منهما يدل على المحذوف من الآخر ، ففي قوله تعالى : (ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ) حذف من الكلامين ، وتقديره : (**فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله ، وفئة أخرى كافرة تقاتل في سبيل الشيطان**) ، فيحذف من الأول ما يفهم من الثاني ، وحذف من الأول ما فهم من الثاني»(٤٧) ، فوقع الحذف في الطرفين اللذين مثلته هاتان الصورتان : صورة الفئة المؤمنة ، التي تقاتل في سبيل الله ، وصورة الفئة الكافرة التي تقاتل في سبيل الشيطان :

(٤٦) البحر المحيط : ٤١١/٢

(٤٧) اعراب القرآن الكريم وبيانه : ٤٠١/١ ـ ٤٠٢.

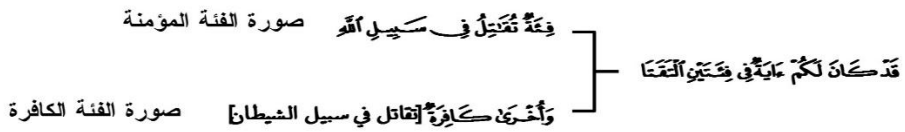

وتظهر في هذا الإيجاز بلاغة الاحتباك في نظم الآية ؛ وذلك لأنّ الله سبحانه وتعالى ذكر في الجملة الأولى لازم الايمان ، وهو (**القتال في سبيل الله**) ، وحذف مؤمنة هنا ؛ لأنها مفهومة من سياق الآية ، فالمسلمون كانوا يقاتلون في سبيل الله وهذا من درجات الايمان العالية فمدحهم الله سبحانه وتعالى بما يليق بالمقام ورمزا إلى الاعتداد بقتالهم ، ووصفت الأخرى بـ(**الكافرة**) ملزوم القتال ، بغير الصفة التي وصفت بها الفئة الأولى اسقاطا لقتالهم عن درجة الاعتبار وتحقيرا لهم(٤٨).

فنحن أمام بنية تضاد ما بين هاتين الصورتين ، التي تبدو الغلبة فيهما للفئة المؤمنة على المستوى الشكلي السطحي ، إذ ذُكر من صفات هذه الفئة أنها تقاتل في سبيل الله ، وهي كما قال الرازي لازم الايمان ، وذكر الفئة الثانية ملزوم القتال في سبيل الشيطان وهو الكفر ، ثم ذيلت هذه الآية بقوله تعالى : **چگ گ گ گ گچ گچ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں چ** [سورة آل عمران] فاشتركت الإحالة في عملية سبك النص وتماسكه عبر تكرار لفظ الجلالة (**الله**) ، فتكون الفئة المنصورة معلومة بدلالة اقتران لفظ الجلالة (**الله**) معها.

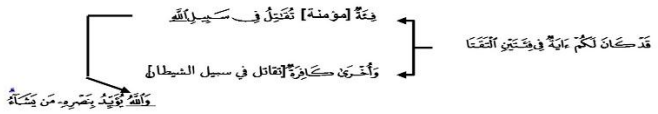

وبطبيعة الحال يكون التأييد لتلك التي تقاتل في سبيل الله ، والملاحظ أن هذه الآية تمثل احالة لغوية إلى خارج النص ، وذلك عبر نصوص أخرى تدلنا على المقصود بهذه الفئة وهو الرسول (ﷺ) وأصحابه فذكر في سبب نزول هذه الآية أن المقصود بها يوم بدر إذ كان المشركون تسعمئة وخمسين رجلاً ، وكان أصحاب رسول الله (ﷺ) ثلاثمئة وبضعة عشر رجلاً . وقال ابن مسعود عن هذه الآية : هذا يوم بدر فنظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً . وذلك قول الله **چڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە چ** [سورة الأنفال] . وعن ابن عباس أنها نزلت في تخفيف يوم بدر على المؤمنين ، اذ كان المشركون يزيدون عن المؤمنين ، فأيد الله المؤمنين(٤٩).

وقد علم أنّ هذه الفئة انتصرت في هذا الموضع فهل هذه الآية خاصة برسول الله (ﷺ) ؟ ، وماذا لو التقت فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله بأخرى كافرة وكانت الغلبة للكافرة ؟! وهذا ما قد تظهره أحداث تاريخية تصب في هذا المقام ، اذن فالنصر قد لا يكون عسكرياً فحسب وإنّما ينظر المؤمنون إلى الشهادة على أنّها نصر أعظم ، وهذا ما يؤيده كثير من النصوص التي دعا فيها اصحابها أن يرزقهم الله سبحانه وتعالى الشهادة ، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر أن عمرو بن الجموح كان اعرج فـ«قيل له يوم أحد : والله ما عليك من حرج لأنّك أعرج فأخذ سلاحه وولى وقال : والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في

(٤٨) ينظر : ((الاحتباك في القرآن الكريم ـ دراسة بلاغية)) /٣٩.
(٤٩) ينظر : الدر المنثور في التأويل بالمأثور:٢٩١/٢.

الجنة . فلما ولى أقبل على القبلة وقال : اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي خائبا»[٥٠] ، فقتل يوم احد ، وقال عنه رسول الله (ﷺ) : ((**والذي نفسي بيده إن منكم لمن لو أقسم على الله لأبره منهم عمرو بن الجموح . ولقد رأيته يطأ في الجنة بعرجته**))[٥١].

وروي عن البراء بن مالك أنه «لمّا كان يوم (**تستر**) من بلاد فارس انكشف الناس ، فقال له المسلمون : يا براء : أقسم على ربك ، فقال : أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك فحمل وحمل الناس معه فقتل مرزبان الزأرة من عظماء الفرس وأخذ سلبه فانهزم الفرس وقتل البراء»[٥٢] ، فالبراء (ﷺ) اقسم على الله أن ينصر المسلمين وان يرزقه الشهادة ، فعن أنس بن مالك أن النبي (ﷺ) قال : ((**كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسمت على الله لا بره منهم البراء بن مالك**))[٥٣].

ونجد أيضاً أنّ الاستبدال قد حدث على المستويين التركيبي والمعنوي ، فالتركيبي حدث على مستوى الاعراب ، اذ اسهم الحذف في اعطاء النص بعداً نحوياً ، فاسفر عن ذلك تأويلات نحوية عدة، وهذا ما وجدناه ماثلاً في وجوه اعراب هذه الآية ، فمعنى قوله : « **ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ** [سورة آل عمران] ، أي في امر فئتين ، أو في شأن فئتين ، أو في غلبة احدى فئتين ، لقوله **ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ** [سورة آل عمران] ، أو في نصر احدى فئتين ؛ لقوله : **ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ** [سورة آل عمران]»[٥٤] فـ(**فئة تقاتل في سبيل الله**) ، أي : فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله ، ويجوز ان تكون جملة **ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ** داخلة في حيز القول السابق ، وهو قوله تعالى : **ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ** [سورة آل عمران] ، فيكون الخطاب بذلك لليهود وتقدير الكلام : (**قل للذين كفروا ستغلبون ، قل لهم قد كان لكم آية**) ، ويجوز ان يكون الكلام مستأنفاً عاماً ، وهو بذلك اما ان يكون خطاباً للكفار او ان يكون خطابا للمؤمنين[٥٥] ، و(**كان**) فعل ماض ناقص ، وفي الخبر وجهان :

احدهما : (**لكم**) و(**في فئتين**) نعت لـ(**آية**).

والثاني : ان الخبر (**في فئتين**) ، و(**لكم**) متعلق بـ(**كان**).

ويجوز أن يكون (**لكم**) في موضع نصب على الحال على أن يكون صفة لـ(**آية**) ، أي (**اية كائنة لكم**) فيتعلق بمحذوف ، و(**التقتا**) في موضع جر نعت لفئتين[٥٦] وفي (**فئة**) عدة وجوه :

فقُرئت بالرفع[٥٧] على القطع على أنّها خبر ابتداء محذوف تقديره (احداهما) ، أو على أنها ابتداء والخبر محذوف تقديره (**منهما**)[٥٨] ، أو على أن تكون بدلاً من الضمير في (**التقتا**)[٥٩].

وقُرئت بالنصب[٦٠] على أن تكون «حالا من الضمير في (**التقتا**) تقديره التقتا مؤمنة وكافرة ، وفئة اخرى على هذا الحال»[٦١] ، او تكون على الاختصاص ، وقيل على المدح ، وتمام هذا القول انه انتصب بالأولى على المدح والثاني على الذم ، كأنه قيل : امدح فئة تقاتل في سبيل الله ، واذم اخرى كافرة[٦٢].

---

(٥٠) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ٣٦٢/١.
(٥١) م.ن : ٣٦٢/١
(٥٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة:١٠٨/١.
(٥٣) سنن الترمذي /٨٦٨.
(٥٤) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ،) /٢١٣.
(٥٥) ينظر : اعراب القرآن الكريم وبيانه :٤٠٠/١ ـ ٤٠١.
(٥٦) التبيان في اعراب القرآن: ١٢٦.
(٥٧) قراءة الجمهور . ينظر : معجم القراءات القرآنية ، د.عبد اللطيف الخطيب: ٤٥/١.
(٥٨) ينظر : المحرر الوجيز /٢٨٠.
(٥٩) التبيان في اعراب القرآن / ١٢٦.
(٦٠) قراءة النصب لابن السميع وابن أبي عبلة ، ينظر : معجم القراءات القرآنية ، د.احمد مختار ع: ٤٥١/١.
(٦١) التبيان في اعراب القرآن : ١٢٦.
(٦٢) ينظر : مفاتيح الغيب : ١٢٨/٢ ، والبحر المحيط :٤١١/٢.

وقُرئت بالجر[٦٣] على أنها بدل بعض من (**فئتين**) ، و(**أخرى**) على العطف[٦٤].

والرؤية في چک ک ک ڪ رؤية بصرية أو بمثابتها ، لشدة الالتحام و(**مثليهم**) حال[٦٥] ، وقُرئت (**ترونهم**) بالتاء المفتوحة[٦٦] ، وهو من رؤية العين ، وقُرئت بضم التاء[٦٧] على ما لم يسم فاعله ، وهو من (**أوري**) إذا دلّه غيره عليه ، كقولك : (**أريتك هذا الثوب**) ، أمّا القراءة بـ(**التاء**) ؛ فلأنّ أوّل الآية خطاب ، وموضع الجملة على هذا يجوز أن يكون نعتاً لـ(**فئتين**) ؛ لأنّ في (**يرونهم**) ضميراً يرجع عليهما ، ويجوز أن يكون حالاً من (**الكاف**) في (**لكم**) ، وأمّا القراءة بالياء فيجوز أن يكون في معنى (**التاء**) إلا أنه رجع من الخطاب الى الغيبة والمعنى واحد ، ويجوز أن يكون مستأنفاً ، ولا يجوز أن يكون من رؤية القلب على كلّ الأقوال السابقة ؛ لوجهين : أحدهما: قوله : (**ک ک**) ، والثاني : أنّ رؤية القلب علم ، ومحال أن يعلم الشيء شيئين[٦٨].ويرى البقاعي أنّ الفعل (**يرى**) تضمن الرؤية البصرية القاصرة على مفعول واحد هو فعل الظن ، وانتزع منه حالاً ودلّ عليها بنصب مفعول ثان فصار التقدير : ظانيهم مثليهم[٦٩].و(**مثليهم**) حال ، و(**ک ک**) مصدر مؤكد[٧٠].

فتضافر المستوى التركيبي مع الحذف الذي ورد بكثرة في هذه الآية فأعطاه أبعادا دلالية كثيرة كما رأينا ، وأسهم ذلك عن طريق الاستبدال الذي أصبح محور هذه الابعاد.

أمّا المعنوي فتمثل باستبدال صورة بصورة مغايرة ، ولا يمكن فهم الصورة الثانية إلاّ بالرجوع إلى الصورة الأولى ، وهي صورة الفئة المؤمنة ، وربما كان الاستبدال قد وقع لدلالة معينة ، فالفئة الكافرة في حقيقة الامر وإنْ تمثلت في (**فئة**) إلا أنّها لا ترقى أن تكون مقابلاً للفئة المؤمنة التي تقاتل في سبيل الله ، فجاء قوله تعالى (**وأخرى كافرة**) وهذا فيه بلاغة لطيفة مغايرة عن (**وفئة كافرة**) اشعارا بأن الطائفتين ليستا متساويتين ، واهمالاً للثانية وتصغيراً لشأنها أن تقرن بالمؤمنة[٧١] ، كما جاء الحذف لـ(**تقاتل في سبيل الشيطان**) اشارة إلى أنّها فئة خاسرة أمام الفئة التي تقاتل في سبيل الله ؛ وبذلك مثلت لفظة (**أخرى**) لفظة دونية مقابلة بلفظة (**فئة**) ، فكانت أدنى منها مرتبة ، وفضلا عن ذلك فإنّ المحذوف في الجملة لو ذكر لنشأت عنه علاقة بين اطراف الكلام قائمة على التضاد ، والضدان كما يرى ابن فارس لا يجوز اجتماعهما في وقت واحد[٧٢] ، وكذلك جاء الحذف ليدلل على أن الذين يقاتلون في سبيل الشيطان لا يرقون لمستوى الند أو الضد للفئة المؤمنة لذا استبدلت لفظة (**فئة**) بلفظة (**أخرى**) ، وقدمت (**فئة تقاتل في سبيل الله**) ؛ للاهتمام والعناية ، إذ إنها كانت مساق المثل ، واعجازه في أن غلبت فئة قليلة اخرى اكبر حجما منها ، فكان الاعجاز قد وقع في (**فئة تقاتل في سبيل الله**) كما اعتمدت بنية الاستبدال على اسلوب الاجمال والتفصيل ، فالإجمال وقع في (**فئتين**) ، والتفصيل وقع في (**فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة**) ؛ وهذا بدوره القى بضلاله على هذا النص الذي تنوعت فيه الاحالة ، فتنوعت اطراف الخطاب ـ المحال اليهم ـ فيحتمل ان يخاطب به المؤمنون او الكافرون او يهود المدينة[٧٣].

---

(٦٣) قراءة الجر للحسن والزهري ومجاهد وحميد ، ينظر : معجم القراءات القرآنية : ٤٥٠/١.
(٦٤) ينظر : التبيان اعراب القرآن / ١٢٦ ، والكشاف /١٦٣.
(٦٥) ينظر : اعراب القرآن الكريم وبيانه :١/ ٤٠١.
(٦٦) قراءة ابي جعفر عن نافع وابان عن عاصم وحفص ويعقوب وسهل وابن شاهين والحسن ، ينظر : معجم القراءات القرآنية : ٤٥٣/١.
(٦٧) قراءة ضم التاء لابن عباس وطلحة عن مصرّف وابي عبد الرحمن ، ينظر : معجم القراءات القرآنية : ٤٥٣/١.
(٦٨) ينظر : التبيان في اعراب القرآن / ١٢٦ ـ ١٢٧.
(٦٩) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٧٧/١
(٧٠) ينظر : المحرر الوجيز /٢٨٠.
(٧١) ينظر : ((الاحتباك في القرآن الكريم ـ دراسة بلاغية)) /٣٩.
(٧٢) ينظر : معجم مقاييس اللغة : ٣٦٠/٣.
(٧٣) ينظر : البحر المحيط : ٤١١/٢ ـ ٤١٢.

فمن رأى أنّ الخطاب للمؤمنين فمعنى الآية تثبيت النفوس وتشجيعها ؛ لأنّه لما قال الرسول (ﷺ) للكفار ما أُمِر به أمكن أن يستبعد ذلك المنافقون وبعض ضعفة المؤمنين[٧٤] ، ومن ذلك ما قاله القائل يوم الخندق : (**كَانَ مُحَمّدٌ يَعِدُنَا أَنْ نَأْكُلَ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَأَحَدُنَا لا يَأْمَنُ أَنْ يَذْهَبَ إلَى الْغَائِطِ**)[٧٥] ، أو ما روي عن عدي بن حاتم ان النبي (ﷺ) حينما اخبره بالامنة أن تأتي ، قال : فقلت في نفسي : (**واين دُعّار طيىء الذين قد سعروا البلاد؟**)[٧٦] ، فنزلت هذه الآية مقوية نفوس المؤمنين ومبينة صحة ما اخبر به بالمثال الواقع[٧٧].

وقرئت (**ترونهم**) بـ(**التاء**)[٧٨] ، فهي مخاطبة لجميع المؤمنين ، إذ قد رأى ذلك جمهور منهم ، فكانت الاحالة بوساطة الضمير على هذا القول مختلفة فـ(**هم**) في (**ترونهم**) لجميع المشركين ، وفي (**مثليهم**) لجميع المؤمنين[٧٩].

وقرئت بالياء (يرونهم)[٨٠] ، فالمعنى يرى الجمع من المؤمنين جمع الكفار مثلي جع المؤمنين[٨١].

أمّا من رأى أنّ الخطاب لجميع الكفار أو أنّه لليهود ، فالآية عنده داخلة فيما أمر الله سبحانه وتعالى محمداً (ﷺ) أن يقوله لهم احتجاجاً عليهم ، وتبيينا لصورة الوعيد المتقدم في أنهم سيغلبون[٨٢] ، قال تعالى : ﭼﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﮅ ﮆ ﮇ ﭼ [سورة آل عمران].

ويرى الزمخشري أنّ المشركين يرون المسلمين مثلي عدد المشركين ، وإنّما أراهم الله ذلك مع قلة المسلمين ؛ ليهابوهم ويتجنبوا قتالهم ، وكان ذلك مدداً للمسلمين من الله ، كما أمدهم بالملائكة[٨٣].وهذا الكلام لا يمكن أن يقع قبل المعركة إذ تشير النصوص إلى أن من المشركين من ألحَّ على القتال ، فضلاً عن ذلك ان الله سبحانه وتعالى قضى أمراً أن يلتقيا ويقتتلا وكلام الزمخشري يكون محمولاً على الارادة عند اندلاع المعركة فالقى الله تعالى الخوف في قلوب المشركين.

وقد تكون قراءة (**يرونهم**) معناها : يرى الجمع من المؤمنين جمع الكفار مثلي المؤمنين[٨٤].

وقراءة (**ترونهم**) معناها : (**فلو حضرتم**) ، أو (**إن كنتم حضرتم**) فساغت العبارة لوضوح الامر في نفسه ووقوع اليقين به لكلّ انسان في ذلك العصر[٨٥].

ومن قرأ (**تُرونهم**) بضم (**التاء**) أو (**الياء**) فكأنّ المعنى : ان اعتقاد التضعيف في جمع الكفار إنّما كان تخميناً وظناً لا يقيناً ؛ لذلك ترك في العبارة ضرب من الشك ؛ وذلك أن (**أُرى**) بضم الهمزة تقولها فيما بقي عندك فيه نظر ، و(**أرى**) بفتح الهمزة تقولها فيما قد صح نظرك فيه[٨٦].

فأما أن يكون الخطاب موجها للمؤمنين ومعناه ترون الكفار مثليكم ، أو أن يكون موجها للكفار واليهود ومعناه ترون المسلمين مثليكم ، ؛ «لأنّ المعنى اما أن يفهم منه شيء واحد لا يحتمل غيره ، وأما أن يحتمل منه الشيء غيره ، وتلك الغيرية اما أن تكون ضداً أو لا ، وهذه الآية احتملت معنيين متغايرين ، وتلك الغيرية ضدّ إذ احتملت رؤية الكثرة أن تكون للمسلمين أو للمشركين في وقت واحد ، وليس هناك

---

(٧٤) ينظر : المحرر الوجيز / ٢٧٩.
(٧٥) السيرة النبوية: ٥٨١/١.
(٧٦) صحيح البخاري /٦٥٦.
(٧٧) ينظر : المحرر الوجيز /٢٧٩.
(٧٨) ينظر : تحبير التيسير في القراءات العشر / ٣١٩ ،ومعجم القراءات القرآنية: ٤٥٣/١.
(٧٩) ينظر : المحرر الوجيز /٢٧٩.
(٨٠) ينظر : تحبير التيسير في القراءات العشر / ٣١٩ ، ومعجم القراءات القرآنية :٤٥٢/١.
(٨١) ينظر : المحرر الوجيز /٢٧٩.
(٨٢) ينظر : المحرر الوجيز /٢٧٩.
(٨٣) ينظر : الكشاف /١٦٣.
(٨٤) ينظر : المحرر الوجيز /٢٧٩.
(٨٥) ينظر : م.ن /٢٧٩.
(٨٦) المحرر الوجيز /٢٧٩.

ما يرجح واحدا على الآخر ؛ لأنّ كلاً منهما يصح اطلاقه في الآية»[٨٧] ، وربّما كان هذا المعنى متناقضاً في ظاهره مع قوله تعالى : چڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى چ [سورة الأنفال] ، وقد ردّ الزمخشري ذلك إلى أنّ التقليل «كان أوّلا في أعينهم حتى اجترؤوا عليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا ، فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين . ونظيره من المحمول على اختلاف الأحوال قوله تعالى : چى ي ي ئج ئح ئم ئى ئي بج چ [سورة الرحمن] ، وقوله تعالى : چبخ بم بى بي چ [سورة الصافات] ، وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى في أعينهم أبلغ في القدرة وإظهار الآية . وقيل : يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين على ما قرر عليه أمرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالى : چۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ چ [سورة الأنفال : ٦٦] بعد ما كلفوا أن يقاوم الواحد العشرة في قوله تعالى : چڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ چ [سورة الأنفال : ٦٥] ، ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لأنّه قليل بالإضافة إلى عشرة الأضعاف وكان الكافرون ثلاثة أمثالهم»[٨٨].

المصادر والمراجع :

١. ((الاتساق الدلالي في قصص القرآن الكريم)) ، لقمان مصطفى سعيد ، أطروحة دكتوراه ، باشراف : د.هاني صبري علي ، كلية الآداب ، جامعة صلاح الدين ، اربيل ، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م
٢. الاتساق النصي ، دراسة تطبيقية ، عبدالجليل غزالة :
www.arabe.physigue48.org
٣. ((الاتساق والانسجام))
.www.lissaniat.net/viewtopic.php
٤. ((الاحتباك في القرآن الكريم ـ دراسة بلاغية)) ، عدنان عبدالسلام اسعد ، رسالة ماجستير ، باشراف:د.احمد فتحي رمضان ،جامعة الموصل ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م
٥. أساس البلاغة ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م
٦. الاستبدال ودوره في تماسك النص ، أ.ابراهيم محمد عبدالله مفتاح
http://www.ta5atub.com/montada
٧. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر (ت٤٦٣هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م
٨. أسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت٦٣٠هـ) ، تحقيق وتعليق : الشيخ علي محمد معوض ، والشيخ عادل احمد عبدالموجود ، قدم له وقرظه : د.محمد عبدالمنعم البري ، ود.عبدالفتاح ابو سنّه ، ود.جمعة طاهر النجار ، دار الكاتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م
٩. الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، الإمام أبو محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي الشافعي (ت٦٦٠هـ) ، تحقيق : محمد بن الحسن بن اسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م
١٠. اعراب القرآن الكريم وبيانه ، محيي الدين الدرويش ، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ـ بيروت ، دار ابن كثير ، دمشق ـ بيروت ، ط١٠ ، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م
١١. بلاغة النص ، مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، د.جميل عبدالمجيد ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ـ مصر ، ١٩٩٩م

(٨٧) اعراب القرآن الكريم وبيانه :٤٠٢/١.
(٨٨) الكشاف /١٦٣.

www.al-mostafa.com
١٢. التبيان في اعراب القرآن ، أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ) ، مكتبة الايمان ، (د.ط) ، (د.ت)
١٣. تحبير التيسير في القراءات العشر ، ابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف (ت٨٣٣هـ) ، دراسة وتحقيق : د.احمد محمد مفلح القضاة ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، الاردن ، جمعية المحافظة على القرآن الكريم،الاردن،ط١،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م
١٤. در المنثور في التأويل بالمأثور ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية ، ، ط١ ، ١٩٨٧م
١٥. سنن الترمذي ، وهو الجامع الصحيح ، ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٩٧هـ) ، ضبطه وصححه : خالد عبد الغني محفوظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط٣ ، ٢٠٠٨م
١٦. السيرة النبوية ، ابو محمد عبدالملك بن هشام الحميري المعافري (ت٢١٣هـ) ، حققها وضبطها وشرحها : مصطفى السقا ، وابراهيم الابياري ، عبدالحفيظ شلبي ، خرج احاديثها : يوسف الحاج احمد ، مكتبة ابن حجر ، دمشق ـ سوريا ، ط١ ، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م
١٧. صحيح البخاري ، الإمام أبو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي البخاري (ت٢٥٦هـ) ، ضبط النص : محمود محمد محمود حسن نصار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط٦ ، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م
١٨. صحيح مسلم ، الامام ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط٥ ، ٢٠٠٨م.
١٩. علم لغة النص ، النظرية والتطبيق ، د.عزة شبل محمد ، تقديم : د.سليمان العطار ، مكتبة الآداب ، القاهرة ـ مصر ، ط١ ، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م
٢٠. الفرق ين الاتساق والانسجام
www.difi.montadarabi.com
٢١. القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ) ، دار الجيل ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، (د.ت)
٢٢. القرائن العلاقية وأثرها في الاتساق ، (سورة الأنعام أنموذجاً) ، دراسة وصفية احصائية تحليلية)) ، سليمان بوراس ، رسالة ماجستير ، باشراف د.فرحات عيّاش ، كلية الآداب ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، الجزائر ، ٢٠٠٨ ـ ٢٠٠٩م
٢٣. لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الانصاري الافريقي المصري (ت٧١١هـ) ، حققه وعلق عليه ووضع حواشية : عامر احمد حيدر ، راجعه : عبد المنعم خليل ابراهيم ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.
٢٤. لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ،محمد خطابي ،المركز الثقافي العربي ، (د.ط) ، ١٩٨٨م
٢٥. معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله الفراء (ت٢٠٧هـ) ، قدم له وعلق عليه ووضع حواشيه وفهارسه : ابراهيم شمس الدين ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م
٢٦. معترك الأقران في اعجاز القرآن ، أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن ابو بكر السيوطي ، ضبطه وصححه وكتب فهارسه : احمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م
٢٧. معجم القراءات القرآنية ، د.احمد مختار عمر ، ود.عبدالعال سالم مكرم ، مطبوعات جامعة الكويت ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م
٢٨. معجم القراءات القرآنية ، د.عبد اللطيف الخطيب ، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق

ـ القاهرة ، ط٢ ، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م
٢٩. معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت٣٩٥هـ) ، حققه وضع حواشيه: ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ،ط٢ ، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.
٣٠. مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير ، الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي (ت٦٠٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط٣ ، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٩م
٣١. مفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد ، المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) ، راجعه وقدم له : وائل احمد عبدالرحمن ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ـ مصر ، (د.ط) ، ٢٠٠٣م
٣٢. ((مقاربة نحو النص في تحليل النصوص قراءة في وسائل السبك النصي)) ، أ.ياسين سرايعة ، مجلة علوم إنسانية، السنة ٥ ، ع ٣٥ ، ٢٠٠٧م
www.ulum.nl.com
٣٣. النص والخطاب والاجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة : د.تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٧م
٣٤. نظرات في مصطلحات اللسانيات ، د.اسامة عبدالعزيز جاب الله
www.alfaseeh.com
٣٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، الإمام برهان الدين ابو الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ) ، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه : عبدالرزاق غالب المهدي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م
٣٦. ((وجوه الاستبدال في القرآن الكريم ، دراسة لغوية وصفية تحليلية)) ، عز الدين محمد أمين سليمان ، رسالة ماجستير ، باشراف د.عبدالوهاب محمد علي العدواني ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م